



2026; 22(1); 421–445

بسم الله الرحمن الرحيم

Omdurman Islamic University Journal(OIUIJ)

مجلة جامعة أم درمان الإسلامية

<https://journal.oiu.edu.sd/index.php/oij>

<https://doi.org/10.52981/oij.v22i1.3463>



ISSN: 5361-1858

فنقلات الإمام السخاوي في سورة النور من خلال تفسير القرآن العظيم

(دراسة تحليلية نقدية)

عهد عيسى آل علي¹ ، أد. أحمد عبد الكريم الكبيسي²

أقسام التفسير وعلوم القرآن ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة

أقسام التفسير وعلوم القرآن ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة

للاستشهاد بهذا المقال:

عهد عيسى آل علي ، أد. أحمد عبد الكريم الكبيسي ، فنقلات الإمام السخاوي في سورة النور من خلال تفسير القرآن العظيم

(دراسة تحليلية نقدية).، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية

ISSN: 5361-1858

<https://doi.org/10.52981/oij.v22i1.3463>

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى انتقاء الفنقلات التي أوردها السخاوي في تفسيره لسورة النور من خلال كتابه تفسير القرآن العظيم، ودراستها دراسة تحليلية تُبرز منهجه في إثارة الإشكالات العلمية واللغوية ومعالجتها، مع موازنة آرائه التفسيرية بأقوال غيره من المفسرين، قصد الوقوف على معالم اختياراته وخصوصية نظره التفسيري. وقد اقتصر نطاق الدراسة على سبع فنقلات وردت في سورة النور، تتوّعت موضوعاتها بين القضايا التفسيرية واللغوية والحديثية والبلاغية، فجاءت نماذج تطبيقية تكشف عن دقة السخاوي في التعامل مع النص القرآني، وحسن توظيفه لأسلوب الفنقلة في خدمة المعنى القرآني وإبراز وجوه بيانه. واعتمدت الدراسة المنهج التحليلي المقارن، حيث جرى انتقاء مواضع الفنقلات محلّ الدراسة، ثم تحليلها في ضوء مقاصدها العلمية وأغراضها التفسيرية، مع مقارنتها بما ورد في كتب التفسير الأخرى، للكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف.

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج، من أبرزها:

- 1- أن الفنقلة أسلوب تعليمي يقوم على طرح التساؤلات والإشكالات، بما يحفز القارئ على التأمل والمناقشة، ويعين على توضيح المعنى وإزالة الإشكال.
 - 2- أن الصيغ الواردة للفنقلة في سورة النور جاءت بصيغتين هما: (فإن قيل) و(فإن قلت).
 - 3- أن عدد الفنقلات التي ذكرها الإمام علم الدين السخاوي في سورة النور سبع فنقلات، تنوعت موضوعاتها بين المسائل التفسيرية واللغوية والحديثية والبلاغية.
- الكلمات الدالة: فنقلات – التفسير – السخاوي – سورة النور

Abstract:

This study aims to identify and examine the dialogical question–answer passages (*fanqalāt*) employed by al-Sakhāwī in his commentary on Sūrat al-Nūr, as presented in his work *Tafsīr al-Qurʿān al-Aẓīm*. It seeks to analyze these passages in order to elucidate his methodological approach to formulating scholarly and linguistic problems and resolving them. The study further undertakes a comparative assessment of his exegetical positions in relation to those of other Qurʿanic commentators, with the aim of delineating the features of his interpretive choices and the distinctive nature of his exegetical perspective.

The scope of the study is confined to seven dialogical passages found in Sūrat al-Nūr. These passages address a variety of exegetical, linguistic, ḥadīth-related, and rhetorical issues, and serve as applied examples that demonstrate al-Sakhāwī’s precision in engaging with the Qurʿanic text, as well as his effective use of the question–answer technique in clarifying meaning and highlighting aspects of Qurʿanic eloquence.

The study adopts a comparative analytical methodology. The selected passages were analyzed in light of their scholarly aims and exegetical functions, and were subsequently compared with parallel treatments in other classical Qurʿanic commentaries in order to identify points of agreement and divergence.

The study arrives at several conclusions, most notably:

1. The dialogical question–answer technique represents a pedagogical method based on posing questions and raising interpretive problems, which stimulates reflection and discussion, and contributes to clarifying meaning and resolving ambiguity.
2. In Sūrat al-Nūr, this technique appears in two principal formulations: “if it is said” (*fa-in qīla*) and “if you say” (*fa-in qulta*).
3. Al-Sakhāwī employs this technique seven times in his commentary on Sūrat al-Nūr, addressing a range of exegetical, linguistic, ḥadīth-related, and rhetorical issues.

Keywords: dialogical question–answer technique (*fanqalāt*) – Qurʿanic exegesis – al-Sakhāwī – Sūrat al-Nūr

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد برع المفسرون في تفاسيرهم، فمنهم من لجأ إلى ما يسهل على القارئ فهمه، ومنهم من حاول لفنه، فنوع في الأساليب التي استخدمها، فيصل المعنى إلى القارئ بسهولة، ومن هؤلاء العلماء الإمام علم الدين السخاوي - رحمه الله- حيث شاع في كتابه "تفسير القرآن العظيم" أسلوب الفنقلة؛ وهو أسلوب يثير الانتباه والتشويق، استعمله كثير من المفسرين في تفاسيرهم؛ إذ يتم من خلاله طرح سؤال يخص قضية معينة، ويتم الإجابة عليه بشكل توضيحي يصل من خلاله المعنى بصورة جلية ودقيقة للقارئ.

وفي هذا البحث نتناول الفنقلات التي أوردها الإمام علم الدين السخاوي في سورة النور، وقد توصلت الدراسة - بعد البحث والتتبع - إلى سبع فنقلات تنتمي إلى مجالاتٍ علميةٍ متعددة، تم تحليلها وتصنيفها ضمن هيكلٍ متكاملٍ يبرز منهجه وخصائص أسلوبه في التفسير.

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية الدراسة في النقاط الآتية:

1. أهمية أسلوب الفنقلات التفسيرية في إثارة انتباه القارئ وترسيخ المعلومة.
2. موازنة آراء السخاوي التفسيرية بما ورد عند غيره من المفسرين.
3. تنوع الفوائد العلمية التي تضمنتها فنقلات الإمام السخاوي في تفسير سورة النور، وذلك تبعاً لتنوع الموضوعات التي تناولها في تفسيره، ما بين القضايا اللغوية، والبيانية، والفقهية، والحديثية، مما يعكس سعة علمه ودقة نظره في عرض المسائل وتحليلها.

مشكلة البحث:

تتمحور إشكالية هذا البحث، حول كيفية توظيف الإمام علم الدين السخاوي لأسلوب الفنقلة في تفسيره لسورة النور؟

ويتفرع عن هذا الإشكال الرئيس أسئلة فرعية، منها مايلي :

1. ماهي الصيغ التي اعتمدها في هذا الأسلوب؟
2. و ماهي الموضوعات التي عالجه من خلال أسلوب الفنقلة؟
3. وما الأغراض العلمية والبيانية التي قصد إليها؟

أهداف البحث:

1. انتقاء وتحليل صيغ الفنقلة التي استخدمها السخاوي، وبيان أغراضها البيانية والعلمية.
2. موازنة آراء السخاوي التفسيرية بما ورد عند غيره من المفسرين.
3. الكشف عن منهجه في العرض والمناقشة، وكيفية توظيفه للأسلوب الحوارية في التفسير.
4. إبراز القيمة التعليمية والتحليلية لأسلوب الفنقلة، ودوره في تقريب المعنى وتوضيح الإشكال.

الدراسات السابقة:

هناك عدد مهم من البحوث والدراسات العلمية التي تناولت موضوع الفنقلاات التفسيرية على وجه العموم، بيد أنه لا توجد أي دراسة علمية - حسب التتبع والإحصاء - قد أفردت الفنقلاات التفسيرية عند الإمام السخاوي بالبحث والدراسة، ومن بين تلك الدراسات العامة مايلي :

- 1- فنقلاات الزمخشري البلاغية في سورة يوسف، دراسة تفسيرية، د. نزار عطا الله أحمد صالح، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، التابعة لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد 16، 2013هـ. حيث تتفق دراستنا مع هذا البحث في موضوع الفنقلاات، لكن تختلف عنه من ناحية المفسر واسم السورة.
- 2- فنقلاات المفسرين: دراسة نظرية تطبيقية على سورة الفاتحة، للدكتورة خلود شاكر العبدلي، جامعة القصيم، مجلة العلوم الشرعية، العدد 3 لسنة 2019م. وتتفق دراستنا مع هذا البحث من حيث الفنقلاات، وتختلف في اسم السورة و حدود الدراسة؛ حيث أن هذه الدراسة تشمل عدد من المفسرين بينما دراستنا تقتصر على الإمام السخاوي فقط بينما.
- 3- فنقلاات التفسير في جامع البيان للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:310هـ): إيرادات وأجوبة وأسئلة وردود: جمعاً وتحليلاً، للباحث: بريك القرني، وهو بحث محكم ومنشور في مجلة تعظيم الوحيين، ج6، ع 12، 2023م. حيث تتفق دراستنا مع هذا البحث في موضوع الفنقلاات، لكنها تختلف عنه من ناحية المفسر وحدود الدراسة؛ إذ يتناول البحث فنقلاات الطبري بوجه عام دون تحديد سورة بعينها، بينما تقتصر دراستنا على سورة النور فقط.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج التحليلي المقارن؛ إذ تم تتبّع فنقلاات الإمام السخاوي في تفسير سورة النور وجمعها، ثم تحليلها من حيث الصياغة والمضمون والأغراض العلمية والبيانية، مع مقارنتها بما ورد عند غيره من المفسرين، للكشف عن منهجه وخصائصه في عرض المسائل ومعالجتها.

هيكل البحث:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وتمهيد ومبحثين على النحو الآتي:

المقدمة: وقد تضمنت التعريف بالموضوع، وسبب اختياره، وأهميته، ومشكلته، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد يتناول التعريف بالfenqلة من حيث مفهومه اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الأول: التعريف بالإمام علم الدين السّخاوي وبتفسيره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإمام علم الدين السّخاوي.

المطلب الثاني: التعريف بكتابه تفسير القرآن العظيم.

المبحث الثاني: فنقلات الإمام السّخاوي في تفسير سورة النور دراسة تطبيقية موازنة، وتضمن مطلبين:

المطلب الأول: فنقلاته بصيغة "فإن قيل" في سورة النور:

ويتناول مسألتين:

المسألة الأولى: فنقلة السّخاوي عند قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النور: 31].

المسألة الثانية: فنقلة السّخاوي عند قوله تعالى: ﴿وَالصّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: 32].

المطلب الثاني: فنقلاته بصيغة "فإن قلت" في سورة النور:

المسألة الأولى: عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافِّتٌ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: 41].

المسألة الثانية: عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ [النور: 43].

المسألة الثالثة: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [النور: 51].

المسألة الرابعة: عند قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ...﴾ [النور: 61].

المسألة الخامسة: عند قوله تعالى: ﴿مَنْ يُؤْتِكُمْ...﴾ [النور: 61].

الخاتمة وتضمن النتائج والتوصيات.

تمهيد

التعريف بالفنقات:

الفنقلة لغة:

جمع فنقْلة، وهي كلمة منحوتة من قول (فإن قيل) أو (فإن قلت)، أو (فإن قلتم)، أو (فإن قال) أو (فإن قالوا).
"القاف والواو واللام أصل واحد صحيح يقل كلمه، وهو القول من النطق. يقال: قال يقول قولاً. والمقول: اللسان.
ورجل قوله وقوال: كثير القول. وأما أقوال"¹.

وفي الاصطلاح:

لم يُستعمل لفظ الفنقلة قديماً بهذا الشكل المنحوت، لكن العلماء استخدموا مضمونه عملياً في مؤلفاتهم، فجاء هذا الاصطلاح لاحقاً ليعبر عن أسلوب قديم متأصل في الكتابة العلمية والتعليمية عند المفسرين، وسائر العلماء.
وهو أسلوب تعليمي جذاب يوقظ العقول وينمي الملكات الفكرية، يعتمد على عرض تساؤلات واعتراضات تُحفز القارئ على التأمل والمناقشة، ويبنى غالباً على افتتاح المسألة بسؤال يتبعه جواب يزيل الإشكال ويوضح المقصود.

ومن أبرز صيغته:

فإن قلت: كذا... فالجواب...

أو فإن قيل: كذا... قلت...

أو فإن قال قائل: كذا... قيل...

ولكثر استعمال هذا الأسلوب وشهرته بين العلماء، أطلقوا عليه اسم «الفنقْلة»، اختصاراً للعبارة المتكررة في كتبهم «فإن قلت... قلت»، تعبيراً عن الحوار العلمي بين السائل والمجيب².

¹ - ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1392 هـ/1972م، ص42.

² - ينظر: صالح، نزار عطاء الله. فنقات الزمخشري البلاغية في سورة يوسف عليه السلام دراسة تفسيرية. مجلة البحوث والدراسات القرآنية، المجلد 10، العدد 16، ص52. العبدلي، خلود شاكر. فنقات المفسرين، دراسة نظرية وتطبيقية على سورة الفاتحة. العلوم الشرعية، المجلد 12، العدد 3، ص1549. العنزي، مطيعة هزاع. فنقات الإمام السعدي التفسيرية الواردة في كتابه تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (جمعاً ودراسة). مجلة الفنون والأدب وعلوم الانسانيات والاجتماع، العدد 108، ص8.

المبحث الأول: التعريف بالإمام علم الدين السخاوي وبتفسيره

المطلب الأول: التعريف بالإمام علم الدين السخاوي.

يعد الإمام علم الدين السخاوي أحد أبرز علماء عصره الذين ساهموا في إثراء العلوم الإسلامية بمؤلفاتهم وتحقيقاتهم، وقد تميز الإمام بمكانته العلمية وبصمته الفريدة في علم التفسير، حيث عرف بتفسيره الذي يجمع بين عمق الفهم ودقة المنهج. ويتناول هذا الفصل مدخلاً لتعريف القارئ بحياة هذا العالم الجليل وسيرته العلمية ومنهجه التفسيري، وذلك من خلال تناول اسمه، ونسبه، ونشأته، ومكانته، بالإضافة إلى تسليط الضوء على تفسيره ودوره في توضيح معاني القرآن الكريم.

اسمه ونسبه ومولده ووفاته.

• اسمه:

هو "علي بن محمد بن عبد الصمد أبو الحسن الهمداني الشيخ علم الدين السخاوي المصري"¹. واسم قبيلته: الهمداني، وهو نسبة إلى همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان². وأما السخاوي فنسبة إلى سخاء، "وسخا: مقصور، بلفظ السخاء"³، وهي إحدى قرى الموجودة في الناحية الشمالية من مصر⁴.

قال ابن خلكان: "والسخاوي: بفتح السين المهملة والخاء المعجمة وبعدها ألف، هذه النسبة إلى سخاء، وهي بليدة بالغربية من أعمال مصر، وقياسه سخوي، لكن الناس أطبقوا على النسبة الأولى"⁵.

• مولده:

اختلفت الروايات حول تاريخ مولده، فمنهم من قال إنه ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة⁶. وذكر ابن خلكان أنه ولد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة⁷.

¹ - السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين. طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط2، 1413هـ، (297/8).

² - ينظر: ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد. جمهرة أنساب العرب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف - مصر، د.ط، 1962 م، ص484.

³ - الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي. معجم البلدان. دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، (196/3).

⁴ - ينظر: القفطي، علي بن يوسف. إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط1، 1406 هـ / 1982 م، (311/2).

⁵ - ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، د.ط، د.ت، (341/3).

⁶ - ينظر: السبكي، مرجع سابق. (297/8).

⁷ - ابن خلكان، مرجع سابق، (341/3).

ومهما يكن من أمر، فإن اختلاف الروايات حول تاريخ ولادته لا يعد ذا تأثير كبير على دراسة شخصيته، أو إنتاجه العلمي، بخلاف تاريخ وفاته الذي يساعد في تحديد زمن إسهاماته وموقعها ضمن سياقها التاريخي.

• وفاته

توفي رحمه الله في سنة 643 هـ¹، تاركاً إرثاً علمياً لا يزال حياً بين أيدي الباحثين وطلبة العلم. ويصف لنا المقدسي أحداث اليوم الذي شيعت فيه جنازة علم الدين السخاوي². حيث يقول: "ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة، توفي شيخنا علم الدين، أبو الحسن علي السخاوي – رحمه الله- علامة زمانه، وأوانه بالتربة الصالحية، وصلى عليه بعد الظهر بجامع دمشق، ثم خرج بجنازته في جمع متوفر إلى جبل قاسيون. فدفن بتربيته التي في ناحية تربة بني صصرى خلف دار ابن الهادي، حضرت الصلاة عليه مرتين بالجامع وخارج باب الفرج وشيعته إلى سوق الغنم ثم رجعت لضعف كان من أثر مرض قريب العهد... وكان على جنازته هيبة، وجلالة، وختم بموته موت مشايخ الشام يومئذ، وفقد الناس بموته علما كثيرا ومنه استفدت علوما جمة"³.

المطلب الثاني: التعريف بكتابه تفسير القرآن العظيم:

تفسير الإمام علم الدين السخاوي يعد من التفاسير التي تجمع بين الأصالة والتجديد، فقد اعتمد في تفسيره على منهج يجمع بين النقل والعقل، حيث استند إلى أقوال السلف من المفسرين، مع تقديم اجتهاداته الخاصة التي تبرز عمق فهمه للنصوص القرآنية.

¹- السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي. جمال القراء وكمال الإقراء. تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط1، 1419 هـ / 1999م، (8/1).

²- ينظر: سعد، محمد السيد. الإمام علم الدين السخاوي ومنهجه في كتابه تفسير القرآن العظيم. جامعة الأزهر- مصر، العدد الثالث، 2015م، ص 1891.

³- المقدسي، عبدالرحمن بن اسماعيل. تراجم رجال القرنين (السادس والسابع). دار الجيل – بيروت، دط، دت، ص 177.

المبحث الثاني: فنقلاات الإمام السخاوي في تفسير سورة النور دراسة تطبيقية موازنة

المطلب الأول: فنقلااته بصيغة "فإن قيل" في سورة النور:

المسألة الأولى:

قال تعالى: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ [النور: 31].

أورد الإمام السخاوي فنقلة تتعلق بخبرٍ يُذكر عند هذه الآية، فقال: "فإن قيل: روي أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خادم فقبله"¹ ويعلق السخاوي بأن هذا الحديث ضعيف².

دراسة الفنقلة :

في هذه الفقرة، يطرح السخاوي إشكالاً حديثياً، ثم يجيب عنه، كما ذكر قول الزمخشري في صحة الحديث حيث قال إنه حديث ضعيف.

وعندما ننظر في قول من سبقه من المفسرين في تفسير هذه الآية نرى أنهم تناولوا الآية من عدة وجوه:

1- معنى الآية: اختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ على أقوال :

✓ بمعنى الإماء³: "قال سعيد بن المسيب: لا تغرنكم هذه الآية ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾، يعني: الجوازي، فإنها نزلت في الإماء. لا ينبغي للمرأة أن ينظر العبد إلى شعرها، ولا إلى شيء من محاسنها"⁴.

¹- أخرجه محمد بن سعد، في الطبقات الكبير، في باب: ذكر مارية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم 4983، ج 10، ص

201. والحاكم في المستدرک على الصحيحين، في كتاب معرفة الصحابة رضوان الله عليهم، رقم 6819، ج 4، ص 41.

²- ينظر: السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين (ت 643 هـ). تفسير القرآن العظيم. دار النشر للجامعات، القاهرة - مصر، ط1، 1430 هـ / 2009 م، (608/1).

³- القيرواني، مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد بن مختار القيسي (ت 437 هـ). الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه. مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ / 2008 م، (5074/8).

⁴- السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت 373 هـ). بحر العلوم. تحقيق: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط، 1413 هـ/1993 م، (509/2).

✓ بمعنى العبيد: لا يحل للمرأة الحرة أن تكون زوجة لعبدها، بينما يجوز للرجل أن يتزوج أمته، لأن الزوجية هي حق لمالك المرأة، وبضع المرأة الحرة لا يكون ملكاً لعبدها، بينما بضع الأمة ملك لربها¹.

✓ الإمام والعبيد جميعاً: ذكر الماتريدي في كتابه تأويلات السنة².

القراءات: تناول أهل التفسير اختلاف القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، ونُقل عن ابن جريج أن من القراءات قراءة: (أيمائكم). وقد فسرت (أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ من إماءِ المشركين). ونقل عنه إلى أن المقصود الإماء من غير المسلمات، استناداً إلى أن ذكر (النساء) قبله مقصور على المؤمنات دون غيرهن³. يقول الطبري: "كما قد ذكرنا عن ابن جريج قبل، من أنه لما قال: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ عَنَى بهن النساءِ المسلماتِ دونَ المشركاتِ. ثم قال: أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنَ الإماءِ المشركاتِ"⁴.

"وقال مجاهد: في بعض القراءات أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ، الذين لم يبلغوا الحلم. وروى سفيان، عن ليث قال: كان بعضهم يقرأ: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ من الصغار وقال الشعبي: لا ينظر العبد إلى مولاته، ولا إلى شعرة منها"⁵.

2- ماورد من حديث :

ذكر الزمخشري في كشافه فنقلة ذكر فيها حديثاً فقال: "فإن قلت: روى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصيَّ قبله. قلت: لا يقبل فيما تعم به البلوى إلا حديث مكشوف، فإن صح فلعله قبله ليعتقه⁶، أو لسبب من الأسباب"⁷.

¹ - ينظر: الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت 450هـ). تفسير الماوردي = النكت والعيون. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، (94/4).

² - ينظر: الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود (ت 333هـ). تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة). تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1426 هـ / 2005 م، (548/7).

³ - ينظر: الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط1، 1422 هـ / 2001 م، (266/17).

⁴ - الطبري، مرجع سابق، (266/17).

⁵ - السمرقندي، بحر العلوم ، (509/2).

⁶ - أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبير، (201/10) والحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة رضوان الله عليهم، (4/1)، حديث رقم: 6819.

⁷ - الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538 هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط3، - 1407 هـ، (249/3).

خلاصة المسألة :

اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، فذهب بعضهم إلى أن المقصود هو الإماء، وقال آخرون إنهم العبيد، بينما قال فريق ثالث إن المقصود هو الإماء والعبيد معاً. والراجح هو أن المقصود الإماء، استناداً إلى ما ذكره ابن المسيب حيث قال: "لا تغرنكم هذه الآية ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، يعني: الجواري، فإنها نزلت في الإماء"¹. والله أعلم.

وأما في الفنقلة التي ذكرها السخاوي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، قال: "فإن قيل: روي أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خادم فقبله"².

وقد استخدم السخاوي هنا كلمة (خادم)، بينما ورد في تفسير الزمخشري (خصي)، مما يؤدي إلى اختلاف في المعنى؛ فالسّخاوي يشير إلى خادم عادي، في حين أن الزمخشري يذكر خصياً، مما يترتب عليه تباين في الفهم والتفسير بين القولين.

المسألة الثانية:

قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: 32].

قال السخاوي: "فإن قيل: لم خص الصالحين في قوله: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾؟ قلت: ليحصن دينهم، ويحفظ عليهم صلاحهم"³.

دراسة الفنقلة :

في هذه الفنقلة يطرح السخاوي سؤالاً عن سبب تخصص الصالحين بهذا الوصف، ثم يجيب على السؤال بأن تخصيص الصالحين هو لأسباب منها تحصين دينهم وحفظ صلاحهم.

وعندما ننظر إلى من سبقه من المفسرين في تفسير هذه الآية، نرى أنهم تناولوا الآية من جوانب مختلفة :

1- معنى الآية الإجمالي: "يقول تعالى ذكره: وزوّجوا أيّها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم، ومن أهلّ الصلاح من عبيدكم ومماليككم وإمائكم"⁴.

1- السمرقندي، مرجع سابق ، (509/2).

2- السخاوي، تفسير القرآن العظيم، (608/1).

3- السخاوي، تفسير القرآن العظيم، (610/1).

4- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (274/17).

2- معنى قوله تعالى: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾، قيل بمعنى المؤمنين¹، وقيل بمعنى ممالئكم²، وقيل بمعنى عبيدكم³، وقيل بمعنى من "طلب منكم الصلاح والعفة"⁴.

3- القراءات: ذكر الزجاج أنها فُرئت من عبيدكم، ثم قال وكلاهما جائز، وهذا لازم في الأيامي، والمعنى وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن أردن تحصناً⁵.

4- التخصيص: أشار الزمخشري إلى تخصيص لفظ ﴿الصَّالِحِينَ﴾، في الآية الكريمة، حيث قال: "فإن قلت: لم خص الصالحين؟ قلت: ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم، ولأن الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليتهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الأولاد في الأثرة والمودة، فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم. وأما المفسدون منهم فحالهم عند مواليتهم على عكس ذلك"⁶.

خلاصة المسألة:

ذهب السخاوي إلى ما ذهب إليه الزمخشري في تخصيص لفظ ﴿الصَّالِحِينَ﴾، إذ فسّر تخصيص الصالحين بأنه من أجل تحصين دينهم وحفظ صلاحهم، أما بقية المفسرين فقد تناولوا الآية من جوانب مختلفة دون أن يتطرقوا إلى مسألة التخصيص التي ذكرها الزمخشري والسخاوي.

1- ينظر: ابن أبي ثعلبة، يحيى بن سلام (ت 200هـ)، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمانه وتصرفت معانيه. تحقق: هند

شليبي، الشركة التونسية للتوزيع، د. ط، 1979 م، ص 275.

2- الطبري، مرجع سابق، (17/274).

3- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت 276هـ). غريب القرآن. تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، د. ط، 1398 هـ - 1978 م، ص 304.

4- الماتريدي، تأويلات أهل السنة، (55/6).

5- الزجاج، معاني القرآن وإعرايه، (40/4).

6- الزمخشري، الكشاف، (235/3).

المطلب الثاني: فنقلته بصيغة "فإن قلت" في سورة النور:

المسألة الأولى:

قال السخاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٌ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ 41﴾ [النور: 41].

"فإن قلت: متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السماوات والأرض والطير ودعاءه، وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له: ﴿أَلَمْ تَرَ؟﴾ قيل: علم ذلك من جهة الوحي"¹.

دراسة الفنقطة :

في هذه الآية يطرح السخاوي سؤالاً افتراضياً يتعلق حول كيفية رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لمن يسبح حتى قيل له: ﴿أَلَمْ تَرَ؟﴾ ثم يجيب بأنه علم ذلك من جهة الوحي الإلهي الذي كان يأتيه عن طريق جبريل عليه السلام. وعند النظر إلى من سبقه من المفسرين في معنى الآية، نجد أنهم تناولوا الآية من عدة وجوه رئيسية، وهي:

1- وجه كيفية التسبيح

فالتسبيح جاء من وجهين: أحدهما: تسبيح خلقه وصنعة؛ إذ في خلقه كل أحد دلالة وحدانيته وتعالیه عن الأشباه وتنزيهه، والشهادة له بالربوبية، والتفرد بالألوهية له.

والثاني: يجعل الله - تعالى - في هذه الخلائق من الطيور والدواب وغيرها معنى يسبحون له بذلك، يفهمون هم ذلك من أنفسهم، ويعرفون أنه تسبيح؛ وإن لم يفهم غيرهم من الخلائق، نحو ما ذكر من تسبيح الجبال والطير في قصة سليمان في قوله: ﴿يَجِبَالٌ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سبأ: 10]، وقال في آية أخرى: ﴿يُسَبِّحُنَّ بِالْعَشِيِّ وَالْإشْرَاقِ 18 وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ 19﴾ [ص: 18-19]².

¹ - السخاوي، تفسير القرآن العظيم، (615/1).

² - ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، (578/7).

2- وجه اليقين في العلم بتسبيح المخلوقات

قال النسفي في تفسير معنى الآية: إن المقصود بـ(أَلَمْ تَرَ) ليس الرؤية البصرية، وإنما العلم اليقيني الذي يبلغ في قوته مرتبة المشاهدة، فالنبي صلى الله عليه وسلم يعلم -علماً يقينياً- بتسبيح من في السماوات والأرض وعبادتهم لله تعالى، ومنهم الملائكة والجن، وذلك لأن الله سبحانه هو المتصرف في شؤونهم والهادي لهم¹.

3- وجه الفرق بين تسبيح البشر والمخلوقات الأخرى

قال الطبري: "ألم تنتظر يا محمدُ بعين قلبك، فتعلم أن الله يُصَلِّي له من في السماوات والأرض؛ من مَلَكٍ وإنسٍ وجِنٍّ، (وَأَلطَّيرٌ صَفَّتْ) في الهواء أيضاً تُسَبِّحُ له، (كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ)"².

"فإن قال قائل: وكيف قيل: (كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) والتسبيح عندك صلاة؟ فيقال: قيل: إن الصلاة لبني آدم، والتسبيح لغيرهم من الخلق، ولذلك فصل فيما بين ذلك"³.

خلاصة المسألة:

تناول المفسرون تفسير الآية من عدة جوانب، مثل كيفية التسبيح، واليقين في العلم بتسبيح المخلوقات، والاختلاف بين تسبيح البشر والمخلوقات الأخرى. ومع ذلك، لم يذكر السخاوي هذه التفاصيل، بل ركز على أن علم النبي صلى الله عليه وسلم بتسبيح الكائنات كان مستنداً إلى الوحي.

المسألة الثانية:

قال السخاوي في تفسيره لقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقَةٍ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ 43) [النور: 43].

1- ينظر: النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد (ت 537 هـ). التيسير في التفسير. تحقيق: ماهر أديب حبوش، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول - تركيا، ط1، 1440 هـ - 2019 م، (154/11).

2- الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، (333/17).

3- الطبري، مرجع سابق، (333/17).

"فإن قلت: ما الفرق بين ﴿مِنْ﴾ الأولى والثانية والثالثة؟ قلت: الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض، والثالثة لبيان الجنس. وقوله: ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ يجوز أن يخلق الله - تعالى - في السماء جبلاً من برد، كما خلق في الأرض جبلاً من حجر، ويحتمل أن يراد بالجبيل الكثرة، تقول: عند فلان جبال من ذهب"¹.

دراسة الفنقلة :

في تفسيره لهذه الآية، يتناول الإمام السخاوي استخدامات حرف ﴿مِنْ﴾ في الآية، ثم يقدم شرحاً لبعض التفاصيل اللغوية فيها. فيذكر أن ﴿مِنْ﴾ الأولى استُخدمت لتحديد ابتداء الغاية أو بداية الشيء، بينما ﴿مِنْ﴾ الثانية تشير إلى التبعيض، أي جزء من الشيء. أما ﴿مِنْ﴾ الثالثة، فهي لتوضيح الجنس أو النوع بشكل عام.

ثم يشرح قوله: ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ بأن الله يمكن أن يخلق في السماء جبلاً حقيقياً من برد كما خلق جبلاً من حجر في الأرض، أو أن الجبال قد تكون مجازاً تشير إلى الكثرة الكبيرة من البرد التي تتساقط من السماء، فضرب مثلاً فقال: عند فلان جبال من ذهب.

وعندما ننظر إلى من سبقوا السخاوي من المفسرين في تفسير هذه الآية، نجد أنهم تناولوا الآية من عدة أوجه:

1- معنى الجبال يدل على الكثرة والعظم : حيث ذكر الماتريدي أنه ليس في الآية ما يوضح أن الجبال التي ذكرت على أنها من السماء هي من تلج أو برد، سوى أنه أخبر أن فيها برداً؛ فالأشياء تشبه بالجبال وتنسب إليها؛ إما للكثرة، وإما للشدة والغلظ والعظم².

وقال الفراء: "فيها جبال برد، فدخلت (من) لأن الجبال غير معدودة في اللفظ، ولكنه يجوز كأنك تريد بالجبال والأساور الكثيرة، كقول القائل: ما عنده إلا خاتمان ذهباً قلت أنت: عنده خواتم ذهباً لما أن كان رداً على شيء معلوم العدد فأنزل الأساور والجبال من برد على هذا المذهب"³.

2- استخدامات حرف ﴿مِنْ﴾: حيث ذكر المفسرون استخداماتها المتعددة. أما الاستخدامات المذكورة في الآية ﴿مِنْ﴾ الأولى للغاية للإشارة إلى أن الابتداء من السماء، بينما الثانية للتبعيض؛ لأن البرد جزء من الجبال التي في السماء، أما الثالثة فهي لتوضيح الجنس، حيث إنَّ جنس تلك الجبال هو البرد⁴.

¹ - السخاوي، تفسير القرآن العظيم، (615/1).

² - ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، (580/7).

³ - الفراء، معاني القرآن، (141/2).

⁴ - ينظر: الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي (ت 370هـ). أحكام القرآن. تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1415هـ/1994م، (424/3). الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 427هـ). الكشف والبيان عن تفسير القرآن.

تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1422، هـ - 2002م، (112/7).

3- الاختلاف في معنى قوله تعالى: ﴿مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾: يذكر الطبري في تفسيره لهذه الآية أن فيها وجهين: الوجه الأول: أن في السماء جبلاً حقيقياً مخلوقة من البرد. والوجه الآخر: أن المراد كميات عظيمة من البرد تنزل من السماء، فدرها كقدر الجبال، لا أن هناك جبلاً مكونة من البرد فعلاً!

خلاصة المسألة :

يتبين من أقوال المفسرين أن الآية تناولت موضوع المطر والبرد من جوانب متعددة، فبحثوا في معنى الجبال الواردة في الآية، وهل المقصود بها الجبال الحقيقية في السماء أو أنها تُذكر على سبيل المبالغة للدلالة على الكثرة والعظم. كما وقفوا عند استعمال حرف (مِنْ) وتنوع دلالاته في الآية بين ابتداء الغاية، والتبويض، وبيان الجنس.

وقد جمع السخاوي هذه الأوجه جميعها، على نحوٍ يشبه ما ذكره الزمخشري الذي بين الفرق بين (مِنْ) الأولى والثانية والثالثة، فقال: "فإن قلت: ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة...؟ قلت: الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبويض، والثالثة للبيان... فإن قلت: ما معنى مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ؟ قلت: فيه معنيان... ثم ذكر احتمال أن تكون في السماء جبال من البرد، أو أن المقصود الإشارة إلى الكثرة كما يقال: "فلان يملك جبلاً من ذهب"².

وعليه، فالراجح – والله أعلم – أن جميع المعاني التي تناولها المفسرون معتبرة ومحتملة، ولا تعارض بينها، وقد أحسن السخاوي في جمعها وإبرازها.

المسألة الثالثة:

في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ 51﴾ [النور: 51].

قال السخاوي: "فإن قلت: ما فاعل «ليحكم»؟ قلت: هو إيقاع الحكم؛ كقولك: فرق بينهما وجمع بينهما ومثله «لقد نَقَطَ بَيْنَكُمْ» [الأنعام: 94] في قراءة النصب أي: أوقع التقطيع"³.

1- ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، (337/17).

2- ينظر: الزمخشري، الكشاف، (304/3).

3- السخاوي، تفسير القرآن العظيم، (616/1).

دراسة الفنقلة:

في هذه الفنقلة يطرح السخاوي سؤالاً نحويًا، إذ إن الفعل ليحكم في ظاهره لا يتبين فاعله مباشرة. فذكر أن الفاعل هو نفس إيقاع الحكم، وشبه ذلك بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾، حيث يفهم من السياق أن الفاعل هو التقطيع نفسه، لا أشخاص معينون.

وعندما ننظر إلى من سبقه من المفسرين في تفسير هذه الآية نجد أنهم تناولوا الآية من عدة أوجه:

الوجه الأول : معنى الآية :

كان يجب على المؤمنين عندما يدعون إلى حكم الله ورسوله ليحكموا بينهم وبين خصومهم، أن يكون ردهم: سمعنا ما قيل لنا وأطعنا من دعانا إلى ذلك¹.

الوجه الثاني: سبب النزول:

ذكر عدد من أهل التأويل—ومنهم ابن عباس—رواية مفادها أن الآية وردت في واقعةٍ حصل فيها نزاع بين علي بن أبي طالب وعثمان رضي الله عنهما حول أرضٍ باعها عثمان لعلي، فارتفعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم للفصل بينهما، فحكم النبي صلى الله عليه وسلم لعلي. فزعم بعض الناس أن هذا الحكم كان بسبب القرابة بينهما، فنزلت الآية تعقيبًا على ما قالوه. غير أن هذا القول ضعيف؛ إذ لا يليق أن يخطر ببال عثمان أو من حوله مثل هذا الاتهام في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وذهب فريق آخر إلى أن الآية نزلت في شأن رجلٍ من المنافقين يُدعى بـشُر، كان بينه وبين يهودي خصومة، فدعا اليهودي إلى التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بينما أراد بشر أن يرفع الأمر إلى كعب بن الأشرف زاعمًا أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعدل في الحكم. فقيل إن الآية جاءت ردًا على فعله هذا. ومع ذلك، فإن المفسرين يؤكدون أنه لا يثبت نصٌّ صريحٌ يحدد الشخص الذي نزلت فيه الآية على وجه الخصوص، وإنما الواضح أنها تتعلق بأفعال المنافقين عمومًا².

الوجه الثالث: القراءات :

تعددت القراءات القرآنية في آية «ليحكم»، ويمكن دراسة هذه القراءات من خلال ثلاثة أوجه رئيسية:

¹ - ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (343/17).

² - ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، (583/7).

- 1- بناء الفعل للفاعل ، حيث قرأ الجمهور «ليحكم» على بناء الفعل للفاعل¹.
- 2- بناء الفعل للمفعول²، قال الزمخشري: " وقرئ، ليحكم، على البناء للمفعول. فإن قلت: إلام أسند يحكم؟ ولا بدّ له من فاعل. قلت: و مسند إلى مصدره؛ لأن معناه: ليفعل الحكم بينهم، ومثله: جمع بينهما، وألف بينهما. ومثله (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) فيمن قرأ بَيْنَكُمْ منصوبا: أي وقع التقطع بينكم. وهذه القراءة مجاوبة لقوله دُعُوا³.
- 3- اختلاف حركة الياء والكاف، فمنهم من قال برفع الياء وفتح الكاف⁴، ومنهم من قال بفتح الياء وضم الكاف⁵. وبالتحديد فقد قرأ أبو جعفر المدني- وهو أحد القراء العشرة- : بضم الياء وفتح الكاف (لِيُحْكَمْ)، والباقون بفتح الياء وضم الكاف(لِيُحْكَمْ)⁶.

خلاصة المسألة:

إن جميع الوجوه التي ذكرها المفسرون صحيحة في معناها، غير أن القراءة الراجحة هي قراءة الجمهور: (لِيُحْكَمْ) بفتح الياء وضم الكاف، لكونها متناسبة مع سياق الآية، والله أعلم. وأما السخاوي فقد ذهب إلى ما ذهب إليه الزمخشري في توجيه القراءة بأن جعل الفاعل هو إيقاع الحكم نفسه، كما في قوله تعالى: (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) ، أي وقع التقطع بينكم.

المسألة الرابعة والخامسة :

قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا

¹- ينظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام (ت 542هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد

السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422 هـ، (191/4).

²- ابن عطية، مرجع سابق، (192-191/4).

³- الزمخشري، الكشاف، (249/3).

⁴- ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597). زاد المسير في علم التفسير. تحقيق: عبد الرزاق

المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1422 هـ، (302/3). ابن مهران، أحمد بن الحسين (ت 381هـ). المبسوط في

القراءات العشر. تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية - دمشق، 1981م، ط1، ص 320.

⁵- ابن مهران، مرجع سابق، ص 320.

⁶- ينظر: القاضي، عبد الفتاح (ت: 1403هـ). البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، من طريقي الشاطبية والدرة. دار الكتاب العربي،

بيروت - لبنان، ط1، 1401 هـ - 1981 م، ص 61.

جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿61﴾ [النور: 61].

في تفسير هذه الآية، ذكر السخاوي فنقلتين:

✓ **الفنقلة الأولى:** قال: "فإن قلت: ما وجه دخول ترك الجهاد في هذه الآية؟ قلت: هما يشتركان في نفي الحرج. وقيل في القول الأول: إن مجالسة هؤلاء وقت الأكل قد تكره، أما الأعمى فلأنه قد تسبق يده إلى ما سبقت إليه عين غيره، وأما الأعرج فلأنه يتفجع في جلوسه، وأما المريض لا يخلو من رائحة من فيه، أو أذنه، أو جرح يسيل في باطنه"¹.

دراسة الفنقلة :

في هذه الفنقلة، يطرح السخاوي سؤالاً وهو عن وجه دخول ترك الجهاد في هذه الآية، ثم يجيب بالقول إن الجهاد يشترك مع الجلوس في المجالس في نفي الحرج. فيذكر أن الأعمى والأعرج والمريض قد يسببون إحراجاً، مثل الأعمى الذي قد يلمس ما لم يسبق إليه، والأعرج الذي قد يعاني في الجلوس، والمريض الذي قد يكون له رائحة كريهة، مما يجعل وجودهم في المجلس يشكل مشقة.

وعندما ننظر إلى قول من سبقه من المفسرين في تفسير هذه الآية نرى أنهم فسروا هذه الآية من عدة وجوه:

1- **ترخيص المرضى والزمى في الأكل من البيوت التي ذكرها الله :** قيل إن هذه الآية نزلت ترخيصاً للمرضى والزمى في الأكل من بيوت من ذكرهم الله سبحانه وتعالى في الآية. فقد كان بعض الصحابة، إذا عجزوا عن توفير الطعام للمرضى والزمى، يأخذونهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم من الذين تم ذكرهم في الآية. وكان بعض أهل الزمانة يتخرجون من تناول الطعام في تلك البيوت؛ لأنهم اعتقدوا أن الطعام قد قُدّم لهم من غير مالكيه، وكانوا يقولون: إنهم يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فأُنزل الله سبحانه هذه الآية².

2- **تخفيف الحرج عن الأعمى والمريض في تناول الطعام:** حيث ذكر الطبري في تفسيره لهذه الآية حديثاً قال فيه: "حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عبيدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ} الآية: كان أهل المدينة قبل أن يُبْعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُخَالِطُهُمْ فِي طَعَامِهِمْ أَعْمَى وَلَا مَرِيضٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا كَانَ بِهِمُ النَّقْدَرُ وَالنَّقْرُزُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَالُوا: الْمَرِيضُ لَا يَسْتَوِي فِي

¹ - السخاوي، تفسير القرآن العظيم، (621/1).

² - ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (118/7). والقيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية، (5154/8).

3- الطعام كما يَسْتَوِي فِي الصَّحِيحِ، وَالْأَعْرَجُ الْمُتَحَيِّسُ لَا يَسْتَطِيعُ الْمُزَاحِمَةَ عَلَى الطَّعَامِ، وَالْأَعْمَى لَا يُبْصِرُ طَيِّبَ الطَّعَامِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: لَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ فِي مُؤَاكَلَةِ الْمَرِيضِ وَالْأَعْمَى وَالْأَعْرَجِ¹.

4- التَّخَلُّفُ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ²: قِيلَ فِي نَزْوْلِ الْآيَةِ إِنَّهُ لَا يُعْتَبَرُ عَلَى الْأَعْمَى وَالْأَعْرَجِ وَالْمَرِيضِ إِثْمًا إِذَا تَخَلَّفُوا عَنِ الْمَشَارَكَةِ فِي الْجِهَادِ³.

خلاصة المسألة :

تتناول الآية الكريمة مسألة رفع الحرج عن الأشخاص الذين يعانون من إعاقات بدنية، مثل الأعمى والأعرج والمريض. وقد ذكر المفسرون عدة وجوه لتفسير الآية، تشمل التخلف عن الجهاد، فضلاً عن المواقف الاجتماعية التي قد تسبب مشقة أو إحراجاً لهؤلاء الأشخاص، مثل التواجد في المجالس أو تناول الطعام في البيوت. وقد أشار السخاوي إلى الوجهين الثاني والثالث في تفسيره لهذه الآية. والقول الراجح هو أن الآية تحتمل جميع الوجوه المذكورة لدى المفسرين، والله أعلم.

✓ **الفنقلة الثانية:** قال: " فإن قلت: لم لم يذكر الأولاد؟ قلت: قد دخلوا في قوله: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾؛ لأن ولد الرجل بعضه، وحكمه حكم نفسه "4.

دراسة الفنقلة :

في هذه الفنقلة، يطرح السخاوي سؤالاً حول عدم ذكر الأولاد في الآية، ثم يجيب بأنهم مشمولون في قوله: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾؛ لأن الأولاد جزء من البيت، وبالتالي يحكم عليهم نفس حكم أفراد الأسرة. وعندما ننظر إلى قول من سبقه من المفسرين في تفسير قوله: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾، نرى أنهم فسروا هذه الآية من عدة وجوه:

1- **من أموال عيالكم وأزواجكم:** أي أن المقصود من قوله: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾، هو أموال عيالكم وأزواجكم، حيث يُعتبر بيت المرأة بمثابة بيت الزوج⁵.

1- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (367/17).

2- الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (118/7).

3- ينظر: القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية، (5154/8).

4- السخاوي، تفسير القرآن العظيم، (621/1).

5- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد (ت516هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار

إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ، ط1، 1420 هـ ، (430/3).

2- **من بيوت أولادكم:** أي تأكلوا من بيوت أولادكم، حيث نسبت بيوت الأولاد إلى الآباء؛ لأن كسب الأولاد وأموالهم يُعتبر كأموال الآباء. قال ابن قتيبة: "أن تأكلوا من بيوت أولادكم، فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء؛ لأن الأولاد كسبهم، وأموالهم كأموالهم. يدل ذلك على هذا: أن الناس لا يتوقون أن يأكلوا من بيوتهم، وأن الله سبحانه عدّد القرابات وهم أبعد نسبا من الولد، ولم يذكر الولد"¹.

3- **البيوت التي يسكنها الخدم أو الأهل:** أي البيوت التي يسكنها الأشخاص خدمة لأهلها وارتباطاً بأربابها².

خلاصة المسألة: أن الآية تجمع جميع الوجوه، وقد ذكرها الماوردي في كتاب النكت والعيون: "فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: من أموال عيالكم وأزواجكم لأنهم في بيته. الثاني: من بيوت أولادكم فنسب بيوت الأولاد إلى بيوت أنفسهم لقوله صلى الله عليه وسلم: (أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ)³ ولذلك لم يذكر الله بيوت الأبناء حين ذكر بيوت الآباء والأقارب اكتفاء بهذا الذكر. الثالث: يعني بها البيوت التي هم ساكنوها خدمة لأهلها واتصالاً بأربابها كالأهل والخدم"⁴. بينما ذكر السخاوي وجهاً واحداً من هذه الوجوه، وهو أن الأولاد جزء من البيت. والراجح - والله أعلم- هو الوجه الذي ذكره السخاوي، حيث المقصود بالآية هو الأولاد، كما قال السمعاني "والأولاد أظهر"⁵.

¹ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت 276هـ). **تأويل مشكل القرآن**. تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، 2007م، ص 200. وينظر: الواحدي، علي بن أحمد بن محمد (ت 468هـ). **التفسير البسيط**. عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ، (329/3). البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (430/3).

² الماوردي، النكت والعيون، (123/4).

³ أخرجه ابن حبان في صحيحه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ / 1993م، باب النفقة، ذكر خير أوهم من لم يحكم صناعة العلم أن مال الابن يكون للأب، رقم 4262، ج 10، ص 75. إسناده ضعيف. حصين بن المثني أوردته ابن أبي حاتم 197/3: ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وعبد الله بن كيسان هو أبو مجاهد المروزي ضعفه أبو حاتم والنسائي، وقال العقيلي: في حديثه وهم كثير، ورواه غير واحد من الصحابة، فينقوئى بها ويصح.

⁴ الماوردي، النكت والعيون، (123/4).

⁵ السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد (ت 489هـ). **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، ط1، 1418هـ / 1997م، (551/3).

الخاتمة

بعد دراسة فنقالات الإمام السخاوي في سورة النور من خلال تفسيره القرآن العظيم، وتحليل منهجه في عرض الإشكالات العلمية ومناقشتها، وموازنته بأقوال غيره من المفسرين، أمكن التوصل إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، على النحو الآتي:

أولاً: النتائج :

- 1- أن أسلوب الفنقلة هو أسلوب تعليمي جذاب يوقظ العقول وينمي الملكات الفكرية، يعتمد على عرض تساؤلات واعتراضات تحفز القارئ على التأمل والمناقشة، ويبنى غالباً على افتتاح المسألة بسؤال يتبعه جواب يزيل الإشكال ويوضح المقصود.
- 2- أن السخاوي ذكر في سورة النور سبع فنقالات تعرض فيها لموضوعات متنوعة.
- 3- يُعدُّ الإمام علم الدين السخاوي أحد أبرز علماء عصره، وقد أسهم إسهاماً واضحاً في إثراء العلوم الإسلامية من خلال مؤلفاته وتحقيقاته، ولا سيّما في مجال التفسير.
- 4- أن علم النبي ﷺ بتسبيح المخلوقات ثابتٌ بالوحي الإلهي، لا عن طريق المشاهدة الحسية.
- 5- تبيّن أن تخصيص لفظ (الصّالِحِينَ) في قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: 32] إنما هو لتحسين دينهم وحفظ صلاحهم، وهو ما ذهب إليه السخاوي موافقاً في ذلك الزمخشري.
- 6- تعدّدت أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ يُؤْتِكُمْ﴾، فقيل: المراد أموال العيال والأزواج، وقيل: بيوت الأولاد، وقيل: البيوت التي يسكنها الأهل أو الخدم. والراجح – والله أعلم – هو ما ذهب إليه السخاوي من أن المقصود بيوت الأولاد، كما رجّحه السمعاني بقوله: «والأولاد أظهر».

•ثانياً: التوصيات :

نوصي الباحثين في مجال الدراسات القرآنية بالعناية بإجراء دراسات أخرى حول تفسير الإمام السخاوي،

ونقترح في هذا السياق عدداً من الموضوعات، من بينها:

1. دراسة الفنقالات البلاغية عند الإمام السخاوي.
2. دراسة الفنقالات الفقهية عند الإمام السخاوي.
3. دراسة فنقالات الإمام السخاوي التي خالف فيها الزمخشري.

المصادر والمراجع

- 1- ابن أبي ثعلبة، يحيى بن سلام (ت 200هـ). التصارييف لتفسير القرآن مما اشتهبت أسمائه وتصرفت معانيه. تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، د.ط، 1979 م.
- 2- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597). زاد المسير في علم التفسير. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1422 هـ.
- 3- ابن حبان، محمد ابن حبان، صحيح ابن حبان، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 2012م.
- 4- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد. جمهرة أنساب العرب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف - مصر، د.ط، 1962 م.
- 5- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، د.ط، د.ت.
- 6- ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1990م.
- 7- ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام (ت 542هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422 هـ.
- 8- ابن فارس، أحمد (ت 395 هـ). معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1392 هـ/1972م.
- 9- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت 276هـ). غريب القرآن. تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، د.ط، 1398 هـ - 1978 م.
- 10- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت 276هـ). تأويل مشكل القرآن. تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، 2007م، ص 200.
- 11- ابن مهران، أحمد بن الحسين (ت 381هـ). المبسوط في القراءات العشر. تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية - دمشق، 1981م، د.ط.
- 12- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد (ت 516هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ، ط1، 1420 هـ ، (3/430).
- 13- الحاكم، محمد بن عبدالله، المستدرک علی الصحیحین، دار الرسالة العالمية، ط 1، 2008م.
- 14- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي. معجم البلدان. دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.

- 15- العبدلي، خلود شاكر. **فنقات المفسرين، دراسة نظرية وتطبيقية على سورة الفاتحة**. العلوم الشرعية، المجلد 12، العدد 3.
- 16- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538 هـ). **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط3، - 1407 هـ.
- 17- السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين. **طبقات الشافعية الكبرى**. تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ، ط2، 1413 هـ.
- 18- السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي. **جمال القراء وكمال الإقراء**. تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط1، 1419 هـ / 1999 م.
- 19- السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين (ت 643 هـ). **تفسير القرآن العظيم**. دار النشر للجامعات، القاهرة - مصر، ط1، 1430 هـ / 2009 م.
- 20- سعد، محمد السيد. **الإمام علم الدين السخاوي ومنهجه في كتابه تفسير القرآن العظيم**. جامعة الأزهر - مصر، العدد الثالث، 2015 م.
- 21- السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد (ت 489 هـ). **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، ط1، 1418 هـ / 1997 م، (3/551).
- 22- صالح، نزار عطاء الله. **فنقات الزمخشري البلاغية في سورة يوسف عليه السلام دراسة تفسيرية**. مجلة البحوث والدراسات القرآنية، المجلد 10، العدد 16.
- 23- الطبري، محمد بن جرير (ت 310 هـ). **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط1، 1422 هـ / 2001 م، (17/266).
- 24- العنزي، مطيعة هزاع. **فنقات الإمام السعدي التفسيرية الواردة في كتابه تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (جمعاً ودراسة)**. مجلة الفنون والأدب وعلوم الانسانيات والاجتماع، العدد 108.
- 25- القاضي، عبدالفتاح (ت: 1403 هـ). **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**، من طريقي الشاطبية والدرة. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1401 هـ - 1981 م، ص 61.
- 26- القفطي، علي بن يوسف. **إنباه الرواة على أنباه النحاة**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط1، 1406 هـ / 1982 م.
- 27- القيرواني، مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي (ت 437 هـ). **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**. مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ / 2008 م.

- 28- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود (ت333هـ). **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**. تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1426 هـ / 2005 م.
- 29- الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت450هـ). **تفسير الماوردي = النكت والعيون**. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ط.
- 30- المقدسي، عبدالرحمن بن اسماعيل. **تراجم رجال القرنين (السادس والسابع)**. دار الجيل – بيروت، د.ط، د.ت.
- 31- النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد (ت537 هـ). **التيسير في التفسير**. تحقيق: ماهر أديب حبوش، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول – تركيا، ط1، 1440 هـ - 2019 م.
- 32- الواحدي، علي بن أحمد بن محمد (ت468 هـ). **التفسير البسيط**. عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ.